The Kumbotso Teacher Educator (KUTEJ):
A Journal of Multidisciplinary Studies
Vol 6.2 July 2015 ISSN: 1597-8796

THEORIES ON THE FUNCTIONS OF LITERATURE IN THE SOCIETY: THE POSITION OF ARAB CRITICS

Dr. Muntaka Alhaji Ali
Department Of Arabic
Saadatu Rimi Collage of Education, Kumbotso
Kano, Nigeria

نظريات حول وظيفة الأدب في المجتمع
ووجهة نظر النقاد العرب منها

الدكتو: منتقى الحاج علي
محاضر بقسم اللغة العربية - كليّة سعادة ريمي للتربية ، كنو- نيجيريا

ملخص البحث

لا تزال قضية "الأدب والمجتمع" تعقد مجال حوار سخين بين النقاد حتى يومنا هذا، فعكف النقاد –منهم النقاد العرب- يكرثون جهدهم في البحث عن العلاقة بين الأدب والمجتمع الذي أنشأ فيه، بينه وبين الحياة، بل بينه وبين الأخلاق، فاختلفوا في وظيفة الأديب والأدب؛ فهل على الأديب أن ينقل لنا صورة مجتمعه أو

ينقل تجاربه وآماله هو؟ واشتغال النقاد العرب بهذه القضية يكون خاصة عندما أُلحق النقص بالأدب العربي، حيث اتّهم بأنه لا يؤدي واجبه الاجتماعي، في حين أنّ الأدب الغربي يعتني بالمجتمع ويسعى إلى تطويره ورفع شأنه، فأخطؤا هذا المعتقد واستدلوا على وجهة بطلانه، لذا اهتم هذا المقال بتتبع العلاقة بين العنصرين كبيرين: "الأدب" و "المجتمه" وقام بمسح موجز لنظريات حول القضية مضافة إلى قائليها، ونظريات أخرى لها صلة بهذه القضية مع الخلاف الوارد فيها. وفي الختام بين الباحث بأنه وإن كان القول بأن الفن للفن، أو الفن للحياة، أو يدعى بالحرية في الفن... فليكن فنّ عفيف، ولتكن حياة سامية وهادفة ومنقحة ورزينة.

مقدمة :

من القضايا الأدبية التي نالت حظا وافرا من حوار النقاد المحدثين في العصر الحاضر هي قيضية ربط فنّ الأدب بمجتمعه، أي أنّ الأديب عليه أن يعرف وظيفته حق معرفة، ويعرف من يمثّل في فنّه، وعلى أيّ أمر تطلّ نافذته، فهل عليه أن يكتب لأجل مجتمعه فيتقيد بقيوده، أو يتغافل عنه ويكتب ما يراه هو حسنا، وهل كان حرّا طليقا في كل ما يريد قوله، سواء أرضى المجتمع أو أساء إليه، لكنه أدى واجبه ؟ أو هو مقيد بقيود وإرشادات علّقت على طريقه ؟ وهذا في غاية من الأهمية،

وذلك لكي يؤخذ بأيدي الأدباء فلا ينحرفون عن الجادة التي رسمت له.

فعمل الباحث هنا لا يجاوز جمع بعض هذه النظريات والمفاهيم المتفرقة التي وردت في هذه المسألة من كتب الأدب والنقد، ويحاول الإجابة على أمثال تلك التساؤلات، ثم التعليق على ما أتاحت له فيه فرصة التعليق، لغرض عرض الخطوط التي ينبغي أو يجب على الشاعر أو الأديب أن يمشي عليها حتى لا ينحرف عن الجادة وحتى يؤدي رسالته الأدبية خير أداء، إذ الجهل بها يجعل الأديب أو الشاعر يقع في حضيض يهلك فيه ويتكون البحث من أربع نقاط؛ ويهلك معه القارئ لأدبه وشعره. المقدمة، ثم علاقة الأدب بالمجتمع، ثم نظريات ومفهيم لها علاقة بالقضية، ثم الخاتمة.

المبحث الأول: علاقة الأدب بالمجتمع :

من الجدير بالمكان أن نفتتح الحديث بمقال الدكتور بدوي طبانة الذي لخص القضية تلخيصا دقيقا حيث يقول بأنه: [i]

> *"قد اتسعت دائرة البحث في غاية الأدب، وكثر الكاتبون فيها والقائلون بوجوب نهوض الأدب بمهنة الإصلاح الاجتماعي، ومحاولة النهوض بالأمة، وحمّلوا الأدباء تبعة التخلف الاجتماعي، وقد وازنوا بين أدباء العربية وأدباء أوربا وأمريكا من هذه الناحية وخلصوا من هذه الموازنة إلى أنّ من عوامل إكبار الأدب الأجنبي*

أنـــه اســـتطاع أن يـــنهض بعبـــئ الإصـــلاح الاجتماعي، وذلك بشرحه العلل والمعوّقات في بعض طبقات الأمة، وأنّ من أهمّ أسباب هوان الأدب العربي أنه لا يتحدث إلا عن نفس صاحبه ومطامحه وآماله ومتاعبه. وعبّر النقاد عن آمالهم في أن يتجه الأدباء اتجاها إصلاحيا يجاري نهضة الأمة، ويتابع خطواتها في سبيل التقدم، بل يرسم لها سبيل التقدم"

وقديما تحدث أدباء الغرب عن الصلة بين الأدب والمجتمع، ويمكن الاستشهاد في ذلك بالعبارة المقتبسة عن دي بونالد (Bonald De) : "الأدب تعبير عن المجتمع" إلا أن مفهوم هذه العبارة يختلف من أديب لآخر ومن ناقد لآخر.

فالكتاب من أمثال: "ويليك" و"وارين" - في ترجمة الدكتور رشاد رشدي عنهما- يريان أنّ مفهوم هذه العبارة إذا كانت تفترض أن الأدب - في أي وقت محدد- يعكس الوضع الاجتماعي القائم "بشكل صحيح" فهي عبارة باطلة، وكذلك تكون سوقية ومبتذلة وغامضة إذا كانت تعني فقط أن الأدب يصور بعض جوانب الواقع الاجتماعي. أما القول بأنّ الأدب يعكس الحياة ويعبر عنها فهو قول أكثر إبهاما . ويريان أنه من المحتم على الكاتب أن يعبر عن تجربته ومفهومه الإجمالي للحياة.[ii]

وأصحاب حركة النقد الجديد في أمريكا وعلى رأسهم زعيم هذه الحركة "جون كر" و "رانسوم" فيرون بأن الشعر ينبغ ألا يستعمل في خدمة أية أغراض غير شعرية، سواء أكانت هذه الأغراض الأغرض أغراض أخلاقية، أم اجتماعية، أم تاريخية. وأن الشعر إذا كان يستحق أن يدرس على الإطلاق، فهو إنما يستحق هذه الدراسة من حيث إنه شعر لا من حيث إنه شيئ آخر.[iii]

وفي العالم العربي يعدّ خليل مطران من أوائل من نادى - في دعوته للتجديد في الشعر في ما كتبه بعنوان "بيان موجز" – فقد نادى بتصوير حياتنا في أدبنا دون أن تكون عالة على السابقين إلى غير ذلك.[iv]

وهذا طه حسين ينادي بضرورة التفاعل بين الظواهر الاجتماعية والذاتية والإنسانية في العمل الأدبي، ويؤكد دور تطور الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية في تطور الأدب وتطور اللغة تطورا ملائما لمقتضيات الحياة التي يحياها أصحاب هذه اللغة، فلم ينظر إلى العمل الأدبي باعتباره نصا في ذاته مستقلا عن كل ماعداه، كما لم ير العمل وثيقة اجتماعية أو تاريخية، فالأدب محصلة تفاعل بين الظاهرتين.[v]

ويفسر عباس محمود العقاد الشعر الاجتماعي تفسيرا جديدا، فبين بأنّ الشعر الصادق يعبر عن كل نفس، وهو بذلك يعبر عن المجتمع بأسره ويؤثر فيه، ولذا نعده شعرا اجتماعيا وإن لم يدون حادثا قويا أو نحوه.[vi]

ولخص بعضهم آراء النويهي التي تساند هذا الرأي حيث يبيّن بأنّ الشاعر أو الأديب ما دام أنه عضو من أعضاء مجتمعه فلا بد عليه أن يعكس الظروف الاجتماعية في ذلكم المجتمع، وحتى أنه يستاق مادة عمله الأدبي منه، وعلى هذا فإنّ عمله الأدبي يتضمن – صراحة أو ضمنا – تلك الظروف، وذلك على وجه التلازم الحتمي بين العمل الأدبي والظروف الاجتماعية، وحيث أن عمل الأديب متأثر وملازم للظروف الاجتماعية ، كذلك شخصية الأديب فهي تتأثر بالضرورة بتلك العوامل الاجتماعية، وأن الطبيعة بنوعيها هي المادة التي يتكون منها العمل الأدبي إذ أنها جزء من المجتمع بتعبيرها عن ظروفه الجغرافية والطيوغرافية، ويؤمن بعملية التبادل بين الأديب ومجتمعه الذي يقول عنه، فهو يأخذ من المجتمع ثم يعطي للمجتمع فوق ما أخذ منه، فهي علاقة أخذ وعطاء، فالأديب – بالضرورة- يعكس الظروف الاجتماعية السائدة في مجتمعه، فمثلا إن الشعر الجاهلي يعكس الظروف الاجتماعية المتشابكة، وأنّ شعر النقائض في أوائل العصر الأموي يستخدم كوثيقة اجتماعية أو تاريخية في ذلك العصر، وأن شعر بشار وأبي نواس يعكس التغيرات العظيمة التي نتجت عن عمليةالمزج بين العرب والأجانب. [vii]

وأكد إيليا تسليم الحاوي هذا الرأي في تعليقه على المعاني الواردة في معلقة طرفة بن العبد حيث يقول: "وهذه المعاني تدل على أن الشعر هو تعبير عن المجتمع في جزء منه، وتعبير له في جزء آخر، وتظهر لنا عظم التداخل بين الذات الفردية

والـذات الاجتماعيـة فـي نفـس الأديـب بحيـث يتولـد الشـعر مـن تحاكّهما وتنازعهما بعضا ببعض.[viii]

وكان من الذين كتبوا عن هذا الموضوع الأستاذ أحمد أمين، الذي قال بأن "أول واجب على الأدب العربي أن يتعرف الحياة الجديدة للأمة العربية، ويقودها ويجيد في إصلاح عيوبه، ويرسم لها مثلها الأعلى، ويستحثها للسير إليه. إن الأدب العربي إلى الآن تغلب عليه النزعة الفردية لا النزعة الاجتماعية. حتى يعوض ما فاته منها.[ix]

وكأن الحاوي ينطق بنفس ما نطق به أحمد أمين حيث يقول الحاوي: بـ"أن الشعر هو تعبير عن المجتمع في جزء منه، وتعبير له في جزءآخر، وتظهر لنا عظم التداخل بين الذات الفردية والذات الاجتماعية في نفس الأديب بحيث يتولد الشعر من تحكّهما وتنازعهما بعضا ببعض"[x]

وهذه البيانات كلها إن دلت على شيئ فإنما تدل على بطلان رأي الـذين يرمـون الأدب العربـي بالقصـور فـي التعبيـر عـن مجتمعه، فهو لم يولد إلا على هذه الفطرة، ولم ينشأ إلا على هذه الساحة وغاص في ذلك والمحيط.

والحقيقة هي ما يقوله الدكتور شوقي ضيف:[xi]

> *" أن الأديب لا يكتب أدبه لنفسه، وإنما يكتبه لمجتمعه، وكل ما يقال عن فرديته المطلقة غير صحيح، فإنه بمجرد أن يمسك بالقلم يفكر فيمن*

سيقرءونه، ويحاول جاهدا أن يتطابق معهم، ويعي مجتمعهم وعيا بكل قضاياه وأحداثه ومشاكله، لسبب بسيط وهو أنه اجتماعي بطبعه، ومن ثمَّ كانت مطالبته أن يكون اجتماعيا في أدبه مطالبة طبيعية، أما أن يتخلى عن مجتمعه فإنّ ذلك يعدّ شذوذا وانحرافا وانسياقا نحو ضرب من الانعزال من شأنه أن يفتّ في عضد المجتمع"

ويؤكد قوله بأنه لايوجد الأدباء في الأمة عبثا، فهم هداة الأمة، والمستحقون في أن يعبّر عن آلامها وآمالها وأحلانها، وأن فكرة الانعزال الفردي عن المجتمع أسطرة ووهم، فمهما جهد الأديب في أن ينعزل عن مجتمعه فإنه لا يقدر على ذلك، فسواء صور مجتمعه أو أدار نظره عنه فأخذ يصور نفسه، أو اقتلع عن ذلك كله فصور الحياة الإنسانية العامة فإنه لا يزال في شراك المجتمع، وهو بلا شك يستمد كل ذلك عن روح مجتمعه، وعلى هذا وذاك فالشعر العربي ... لم ينسحب من الحياة، ولم يخرج عن دائرة مجتمعه، بل كان يرافق هذه الحياة في السلم والحرب، وكان الشاعر يرى من واجبه أن يشارك في أحداث مجتمعه.[xii]

لذا ذهبوا إلى الاعتقاد بأنّ الفنان ليس مختارا ، وهو رضي أو لم يرض، فإه يستمد من واقعه الاجتماعي، وهو لا بد من ارتباطه بهذا االواقع متخذا موقفا محددا من مشكلاته، ولذا فإن عدم الارتباط بهذه المشكلات لا ينتج بداهة إلا أدبا ضعيفا ليس

لـه قيمـة كبيـرة، لأنـه ليسـت لـه دلالـة اجتماعيـة، فـالأدب نتـاج اجتماعيي وما في ذلك من شك، فهذا أمر مسلم به اليوم، فصـور الأديب وخيالـه ومشـاعره ومزاجـه الفكـري كـل ذلـك مسـتمد مـن واقع المجتمع الذي نشأ فيه. [xiii]

المبحث الثانـي: نظريات ومفاهيم على متن الطريق :

هذه مفاهيم ونظريات أراد الكاتب أن يعرضها بهذا الصـدد لغرض الوقوف بها لكونها وثيقة الصلة بالموضـوع، وذلك كـي تساعدنا على تحديد معالم هذه القضية، ولكي نتمكن من الإحاطة الكليـة بالموضـوع، لأن كـلّ نظريـة تفيـدنا بـأمر لا نجـده فـي الأخرى، وإليك هذه المفاهيم .

أولا: المنـهج الأيديولوجي :.

عاد محمد مندور في آخر أمره فنـادى بمـا سماه "ابـالمنهج الأيديولجي" ويعني به أن يكون للفنان وجودا هادفا في المجتمع، فيكون مرتبطا بالقضايا والظروف البيئية المحيطة بـه، وهو فـي أول حياتـه النقديـة يـرفض مثـل هـذا الاعتقـاد، ويـذهب متجهـا مضاضا لهذ، لكنه فيما بعد أصبح حامل لواء الدعوة إلى ذلك.

فهـذه الـدعوة فـي ذاتهـا مطابقـة لمـنهج الواقعيـة الاشـتراكية بصفة خاصة، وذلك بدعوته إلى الاهتمام بموضوعات الحاضر، والتهوين من موضوعات الماضي، بل إنه لا يكتفي بكون الأدب انعكاسـا لمشـكلات المجتمـع المعاصـر، وإنمـا كانـت لـه وظيفـة مثالية كذلك، حيث يقوم بعمليـة الموجـه والمرشد لهذا المجتمـع،

فينقله من حاله الدني إلى الحال الرفيع، فيتجاوز به واقعه التعس إلى واقع أفضل .

ثانيا: الالتزام والحريّة في الأديب :.

إن الدكتور محمد مندور بنظريته هذه يحاول التوفيق بين إلتزام الأديب وحريّته، فيحرص على نفي أية شبهة قد تربط بين المنهج الأيديولوجي والحد من حريّة الأديب، وخلاصة هذا التوفيق هو أن الأديب ما دام أنه يعيش في المجتمع، فإنه لا محالة ينفعل بمشكلات هذا العصر، ومن ثم يجد نفسه متخذا موقفا ملتزما من هذه القضايا، دون ضغط خارجي، وإنما بإملاء طبيعي من نفسه.

ولربما يعارضه الدكتور محمد النويهي في ذلك حيث يرى حرية الأديب كاملة على المتويين الشكلي والمضموني، فللأديب مطلق الحريّة في أن يختار الشكل الذي يراه مناسبا ويرضيه ضميره، وكذل له ذلك من حيث المضمون أيضا، إلا أنه قيّد هذه الحريّة بأن تكون معقولة، وذلك بأن تبعد عن الفوضى وتهتم بالمسؤلية.[xiv]

ثالثا: الأدب الهادف

هذا اصطلاح نقاد العصر الحديث، ويعتبر سلامة موسى ممن دعوا إلى أن يكون الأدب هادفا في النقد العربي الحديث، فهو يدعو إلى ربط الأدب بالحياة الحاضرة ومشكلاتها، وهي دعوة قديمة في ذاتها، تعود إلى سنة 1933م حين أصدر كتابا

عن الأدب الإنجليزي الحديث، وقد دعى بربط الأدب بالواقع الحاضر، وجعله يعني بمشكلات المجتمع.

ودعوته هذه تسعى إلى تحقيق هدف وراء المتعة الجمالية من الفن، سواء أكان هذا الهدف تعليميا، أم دينيا خلقيا، أم اجتماعيا.

أما النقاد الغربيين المحدثين فإنهم يقفون على النقيض من آراء الواقعيين الاشتراكيين الذين يرون أن الأدب إذا جعل من حلّ مشكلات اجتماعية معينة هدفا له فإن قيمته تكون موقوتة ببلوغ هذا الهدف، ويصبح بعدها عديم الأهمية.

رابعا: الأدب والأخلاق وقضية الأدب المكشوف :

إن الكلاسيكية الجديدة – على يد سدني- كانت ترى وظيفة الفن تقوم على تفسير أخلاقي، وقد أصرت هذه الدعوة على الوظيفة الأخلاقية للأدب باعتبارها مسألة أساسية لا يكمل معنى الأدب إلا بها، ولقد أثرت هذه الفكرة على الناقد الفيكتوري ماثيو آرنولد (1822- 1888م) الذي ربط الشعر بالأخلاق ربطا وثيقا أحلّه محلّ الدين نفسه، وعنده أن دور الشاعر في المجتمع المفتوح الذي اتسعت فيه دائرة التربية، دور تربوي يقوم على إرشاد الإنسانية وهدايتها... [xv]

ويرى العقاد بأن "الشعر قد يسلي ويرفه عن الخواطر، ولكنه فوق ذلك يهذب الأخلاق ويلطف الشعور، ويعين الأمة في حياتها المادية والسياسية والاجتماعية"[xvi]

وقد تعرض بعض الأدباء للكشف عن بعض المعاني التي تخدش وجه العفّة والحياء، فأخذ بعضهم على "نزار قباني" بأن أكثر شعره في ديوانه إنما هو في المرأة، فكأننا بالشعر عنده لا يكون إلا في المرأة ولها.[xvii]

ومسألة الإلتزام والعفة أو عكس ذلك مسألة حساسة جدا أثارت جدلا عنيفا بين النقاد في العصر الحديث، وقديما عرف قوم من الشعراء والكتاب بالتصريح بما تنكر التصريح به النفس الكريمة، وفي مقدمة أولائك امرئالقيس، وأبو نواس وغيرهما من شعراء العربية، وقد أرضى شعرهم الماجن طائفة من النقاد، كما أسخط بعضهم فرأو فيه انحرافا عن قواعد الأخلاق، واستثارة للغرائز الوضعية في الإنسان .

ومنذ قديم الزمان نادى قدّامة بن جعفر برأيه بحرية الأديب، وصرّح بأن المعاني كلّها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر ...، وعليه إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة، والرفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمرح والعضيهة أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى النهاية المطلوبة، وهو يرى أن قول امرئ القيس "فمثلك حبلى...) ليس فاحشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما يذهب إلى ذلك آخرون.[xviii]

أما العقاد فهو يرى بأنّ الأدب الصحيح السامي الرفيع هو الذي تميله بواعث الحياة القومية، ويتماشى مع الفطرة الإنسانية العامة، فلا يخدع لفساد المروئة، فإذا أملته بواعث التسلية

والبطالـة، واهـتم بمخاطبـة الأهـواء العارضـة، فهـو أدب غـث مرزول ينبغي نبذه ومحاربته.[xix]

وهذا اللون من الأدب اشتهر باسم الأدب المكشوف، والذي أثـار صـراعا عنيفـا، ومـع هـذا وذاك فـإن الغالبيـة العظمـى مـن الكتاب والنقاد يسعون ضده، وتعافه نفوسهم، .....[xx]

ويعـدّ سـلامة موسـى مـن الـرواد الـذي نـادوا بهـذه الحيـة والاكتشاف في الفن من الأدباء العرب، فقد نشر آرائـه تجـاه هـذا المعتقد في المجلة "الجديدة" في العدد 130 حيث يقول بأنّ:

> *"موضـوع الأدب هـو موضـوع الطبيعـة البشرية في حقيقتها... فـإذا عـالج الأديـب موضـوع الحـب فهـو لا يقنـع بمـا هـو مألوف من العلاقات الجنسية، بل يسموا بها إلـى مـا هو أرقـى من المألوف، فـإذا احتاج في ذلك إلـى صـراحة تامـة فيجـب أن يمنح هذا الحق. إن للأديب قيدا واحـدا فقط يتقيد به، هو إخلاصه في عمله، ولـه الحـق مـا دام مخلصـا فـي أن يبحـث بصـراحة جميـع مسـائل الجـنس.."*[xxi]

وبعد هذا التصريح التام بحرية الأديب في الكشف عن كل شيء راه يأتي بتقرير يبين بأنّ التصريح ليس المقصود ذاته في

الحقيقة، فلا يدعوا إلى الجنس ووسائله، بل هو وسيلة واحدة للإرشاد فقال:

"إن الأديب الذي يعالج العلاقة الجنسية قد يصارح القارئ أو المشاهد بأشياء كثيرة، ولكن لإخلاصه ولأن بصيرته تنزع إلى السموّ، لا يستثير في القارئ شيئا من الشهوات الدنيّات، إذا عالج موضوع الشهوة الجنسية أمكنه أن يفتح أمام الشباب باب التسامي، أي أن ينقل حبه للمرأة إلى حبّ الفنون الجميلة، عندئذ تستحيل هذه الشهوة البهيمية إلى العمل للشرف والقوة والمجد...إن ستر الحقائق يجعلها أجذب للنفس من شعورها. [xxii]

ومهما يكن من أمر فقد واجه هذا المذهب اعتراضا كبيرا من نقاد كثيرين، حيث كانو يرون ذلك أنه نوعا من الفسق وإعلانا للدعارة في المجتمع، وما كان ذلك مما ينبغي، بل يجب تجنبه، وقد قام توفيق ديّاب بالردّ عليه ردا عنيفا في مجلة "السياسة الأسبوعية عام 1937م.

خامسا: الفنّ للفنّ أو الفنّ للجمال :

إن الفكرة السالفة الذكر التي ترى أنّ وظيفة الفن تقوم على تفسير أخلاقي قد لاقت اعتراضا من مدرسة "الفن للفن" التي كانت ترى عموما بأنّ هدف الفنّ ينبغي أن يكون جماليا محضا،

وهذا الهدف الجمالي المحض منفصل بطبيعته عن الأهداف الأخلاقية، وعن أيّة أهداف أخرى، وقد اعتمدت نظرية الفن للفن في قولها بأنّ الشعر نشاط خاص يعتمد على خصائصه الداخلية التي يتجدد بها مفهومه وقيمته، على أفكار نظرية سابقة قائمة على أساس أن المتعة في الفن أهم من أي هدف تغليمي، وكانت أشد حملة شنتها مدرسة الفن للفن ضد الفكرة السابقة التي تربط الشعر بالأخلاق في أواخر القرن التاسع عشر في إنجلترا على يد كتّاب أمثال أوسكاروايلد.[xxiii]

هذه النظرية تقرر حرية الأديب وانطلاقه من كلّ قيد ما عدا استجابته لعبقريته ومواهبه، وبذلك يكون للأدب كيانه الذاتي وحريّته المطلقة.

وقد وضع محمد مندور المنهج الأيديولوجي – السابق الذكر- وضعا مضادا لمذهب "الفن للفن" حيث بين بأن هذا المنهج يزدري من نظرية الفن للفن ويعتبره عديم الأهمية والمكانة في العصر، فالآن قد أصبح الفن والأدب يصاغان لغرض تطوير دائم للحياة نحو ماهو أفضل للسعادة البشرية، فالأدب والفن لم يكونا مجرد صدى للحياة بل يكونان قادين لها.[xxiv]

سادسا: الأدب للحياة :

بالنسبة لقضية ربط الشعر والأدب عموما بالمجتمع هناك نظرة أخيرة حاولت أن تربط بين الاشتراكية والأدب، وهي نظرة تقترح عبارة "الأدب للحياة" بدلا من "الأدب للمجتمع"

وذلك لتتفادى من مشكلة ربط الشعر والأدب عموما بمشكلات بعينها، أو بمشكلات مجتمع بعينه، من شأنه أن يحصر مجال الأدب في نطاق ضيق، ويربط مصيره بمشكلات محددة ومؤقتة، وصاحب هذه النظرية هو الدكتور لويس عوض، فرضي بفكرة توسط بها بين المدرستين، المثالية والمادية، فجمع بينهما عن طريق ربط الأدب بالحياة كقضية مسلمة، فهو يقوم بمصالحة بين اجتماعية الأدب واستقلاله الفني.[xxv]

ويجيب الدكتور طه حسين على هذه النظرية بأنها لم تأتي بجديد، فالأدب دائما إنساني، إذ لا يسمى أدبا حتى يصوّر حياة الناس، وليس في الأرض أدب إلا وهو يصور حياة أصحابه.. إلى أن قال: "وإذن فالذين يقولون يجب أن يكون الأدب للحياة ويظنون أنهم يقولون شيئا جديدا؛ لا يقولون في حقيقة الأمر شيئا، ويخطؤن أنهم يبتكرون شيئا لم يألفه الناس منذ قدم العصور، فكل أدب في أيّ أمّة من الأمم إنما هو يصور نوعا من أنواع حياتها".[xxvi]

الخاتمة :

هذا آخر ما توصّل إليه هذا البحث، وإنه في هذه المسافة قد وقف على نظرة النقاد حول قضية علاقة الأدب بالمجتمع، فاكتشف لديه بأن هذه القضية قد تحدث عنها نقاد الغرب، وأخطؤا الظن بأن قالوا إن الأدب العربي لا يتحدث إلا عن نفس صاحبه بدلا من أن يتحدث عن مجتمعه، وعلى هذا، فقد واجه هذا الزعم اعتراضا شديدا من النقاد العرب الذين يرون بأن أيّ

أدب -وفي كلّ أمة- لا يمكن فصله عن مجتمعه بأيّة طريقة، والذي يزعم ذلك فهو مخطئ تماما.

كذلك وقف الباحث على المسائل التي أثيرت حول هذه النظرية، فهي كلها أفادتنا بوجهات نظر النقاد عن وظيفة الأدب وواجب الأديب أو الشاعر في أمته، فرأينا آراء متضاربة بعضها ببعض، حتى توصل أخيرا إلى استلخاص النتائج الآية:

- معظم النقاد العرب يرون أهمية ربط الأدب – والفن عامة- بالمجتمع، وأنه لا يمكن فصله عنه، واختلفوا في وظيفة الأديب والأدب حيث يرى البعض أنه لا ينبغي أن يعكس الأديب أو الشاعر عن المجتمع، بل يعكس تجاربه وآماله لا آمال مجتمعه.
- أن من ظنّ بأن الشاعر العربي القديم لا يعبر إلا عن ذاته فلا يحكي آمال قومه ومشاعر أمته فإنه مخطئ عليه بإعادة النظر.
- أن معظم النظريات التي تدعوا إلى الصراحة التامة والحرية المطلقة وتدعوا إلى السفور، ما هي إلا مستوردات من آراء الأمم الغربية استوردها بعض النقاد العرب بغية مجارات الغربيين ومحاكاتهم من دون طول تأمل ودقة نظر.
- أن تمحيص هذه الآراء وبلورتها ينير للأديب والفنان الطريق إلى النجاح في عمله.

ويقوم الباحث بتقديم توصيات على النحو الآتي:

- على الأدباء عامة أن يهتموا بقضايا مجتمعهم الذي يعيشون في محيطه.

- على الأدباء العرب –خاصة- أن يلتزموا بخصائص لغتهم وتقاليد مجتمعهم وأصالة تراثهم، فلا يعبر إنتاجهم النفي والأدبي إلا عن أمتهم وتقاليدهم حتى يضمنوا له أصالته وجدته.
- أن يتحاشو كل ما هو معارض لتعاليم دينهم ومعتقداتهم وكلّ ما يخلّ بالمروئة، لأن من أسمى أهداف الفن أن يرقي بمجتمعه ويطهر الحيات فيه.
- أن تهتم الحكومة بمراجعة الفنون الأدبية المستوردة و الوطنية، ويقوم الأباء والمدرسين بمراقبة ذلك.

المصادر والهوامش:

---

[i] – طبانة، بدوي (الدكتور) : التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، الطبعة الثانية 1971م (المطبعة الفنية الحديثة) مكتبة الأنجلوا المصرية ص 162

[ii] – نظريات الأدب ص 120

[iii] – الربيعي، محمد : في نقد الشعر الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، القاهرة، ص 163

[iv] – عز الدين، أمين : مسائل في النقد مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى 1283هـ/ 1964م ص 40 - 41

[v] – مجلة الهلال ص 91

[vi] –

[vii] – أبوبكر، محمد أول: محمد النويهي والنقد الأدبي، ادار أبا للطباعة والنشر، كانو نيجيريا، الطبعة الأولى 1422هـ 2002مص 82 - 92

[viii] – الحاوي، إيليا تسليم: نماذج في النقد النقد الأدبي وتحليل النصوص، المرجع السابق، ص 259

[ix] – طبانة، بدوي (الدكتور) : التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، المرجع السابق، ص 162 - 163

[x] – الحاوي، إيليا تسليم : نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص، ،دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثالثة 1969م ص 259

[xi] – ضيف ، شوقي (الدكتور) في النقد الأدبي ، دار المعارف ،القاهرة ، الطبعة التاسعة، ص 191

[xii] – ضيف ، شوقي (الدكتور) في النقد الأدبي ، المرجع السابق، ص 191 و ص193 و ص 194

[xiii] – الربيعي، محمد في نقد الشعر ، المرجع السابق، ص 72

[xiv] – أبوبكر، محمد الأول: محمد النويهي والنقد الأدبي، المرجع السابق، ص 86 - 89

[xv] – الربيعي، محمد: في نقد الشعر ، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر– القاهرة ص 64

[xvi] – الأمين، عزّالدين: مسائل في النقد، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى 1383هـ 1964م ص 119

[xvii] – بدوي، طبانة: التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، المرجع السابق، ص 171

[xviii] – طبانة، بدوي: التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، المرجع السابق، ص 173

[xix] – الأمين، عزّالدين: مسائل في النقد، المرجع السابق، ص 119

[xx] – بدوي، طبانة: التيارات المعاصرة في النقد العربي المرجع السابق، ص 174

[xxi] – مجلة " الجديدة" العدد 130

[xxii] – مجلة " الجديدة" العدد 130

[xxiii] – الربيعي، محمد: في نقد الشعر، المرجع السابق، ص 47

[xxiv] – الربيعي، محمد: في نقد الشعر المرجع السابق، ص 82

[xxv] – مجلة الهلال : 2001م ص 93س

[xxvi] – حسين، طه : خصام ونقد ، دار العلم للملايين بيروت،الطبعة الخامسة. ص 44-45